أدب النبي صلى الله عليه و سلم مع النعم

برنامج مع الرسول

الحلقة الخامسة عشرة

2021-04-27

مقدمة :

الدكتور بلال نور الدين :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .

أيها الكرام ؛ أينما كنتم نحن معاً في مستهل حلقة جديدة من برنامجنا : "مع الرسول صلى الله عليه وسلم" ، هذه الحلقات المباركة التي نعيش فيها مع نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم ، نتعلم من هديه ، ومن أخلاقه ، ومن شمائله ، ومن سنته ، ومن سيرته .
نحاور في هذه الحلقات شيخنا الفاضل الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم سيدي .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، ونفع الله بكم .

الدكتور بلال نور الدين :

وبكم سيدي أكرمكم ربي .

سيدي ؛ نتحدث اليوم عن تعامله ، وعن أدبه صلى الله عليه وسلم ، عن النعمة ، نحن نعيش في نعم كثيرة أنعم الله بها علينا ، وينبغي أن نتعلم هدي النبي بالتعامل مع النعم ، النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في الصحيح أنه أكل رطباً ، واستظل بظل ، وماء بارد فقط فقال :

{ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : خرج أبو بكر بالهاجرة إلى المسجد فسمع بذلك عمر فقال : يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة ؟ قال : ما أخرجني إلا ما أجد من حاق الجوع ، قال : وأنا والله ما أخرجني غيره ، فبينما هما كذلك إذ خرج عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما أخرجكما هذه الساعة ؟ قالا : والله ما أخرجنا إلا ما نجد في بطوننا من حاق الجوع ، قال : وأنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غيره ، فقوما فانطلقوا حتى أتوا باب أبي أيوب الأنصاري ، وكان أبو أيوب يدخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً أو لبناً فأبطأ عنه

يومئذ فلم يأت لحينه فأطعمه لأهله ، وانطلق إلى نخله يعمل فيه ، فلما انتهوا إلى الباب خرجت امرأته فقالت : مرحباً بنبي الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم فأين أبو أيوب ؟ فسمع وهو يعمل في نخل له فجاء يشتد فقال : مرحباً بنبي الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه يا نبي الله ليس بالحين الذي كنت تجيء فيه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : صدقت ، قال : فانطلق فقطع عذقا من النخل فيه من كل من التمر والرطب والبسر ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما أردت إلى هذا ألا جنيت لنا من تمره ؟ قال : يا نبي الله أحببت أن تأكل من تمره ورطبه وبسره ، ولأذبحن لك مع هذا ، قال : إن ذبحت فلا تذبحن ذات در ، فأخذ عناقاً أو جدياً فذبحه ، وقال لامرأته : اعجني واخبزي وأنت أعلم بالخبز، فأخذ الجدي فطبخه ، وشوى نصفه ، فلما أدرك الطعام ووضع بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أخذ من الجدي فجعله في رغيف وقال : يا أبا أيوب أبلغ بهذا فاطمة فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام ، فذهب به أبو أيوب إلى فاطمة ، فلما أكلوا وشبعوا قال النبي صلى الله عليه وسلم : خبز ولحم وتمر وبسر ورطب ودمعت عيناه ، والذي نفسي بيده إن **هذا هو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة** ، فكبر ذلك على أصحابه فقال : بل إذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم فقولوا : باسم الله ، فإذا شبعتم فقولوا : الحمد لله الذي هو أشبعنا وأنعم علينا وأفضل ، فإن هذا كفاف بهذا ، فلما نهض قال لأبي أيوب : ائتنا غداً وكان لا يأتي أحد إليه معروفاً إلا أحب أن يجازيه ، قال : وإن أبا أيوب لم يسمع ذلك ، فقال عمر : إن النبي صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تأتيه غداً فأتاه من الغد فأعطاه وليدة فقال : يا أبا أيوب استوص بها خيراً ، فإنا لم نر إلا خيراً ما دامت عندنا ، فلما جاء بها أبو أيوب من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا أجد لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً لها من أن أعتقها فأعتقها }

[أخرجه الطبراني وابن حبان]

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)

[سورة التكاثر]

قال : ظل بارد ، ورطب طيب ، وماء بارد ، نحن اليوم نعيش بآلاف مؤلفة من النعم ، كيف نتعامل بهذا الهدي ؟

التعامل مع النعمة ينبع من تعظيم النعمة :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

أي هذا الماء الذي نشربه كل يوم ، بل كل ساعة يوجد خاصة لولاها لما كان هذا اللقاء، ولما كانت الأردن ، ولا مكان بالعالم ، هذا الماء كأي عنصر بالأرض ، على التسخين يتمدد ، على التبريد ينكمش ، إلا الماء ، في الدرجة زائد أربع بدل أن ينكمش يزداد حجمه ، لولا هذه الخاصة ما كان هذا اللقاء إطلاقاً ، ما كان هناك إنسان في الأرض ، ما الذي يحصل؟ هذا الماء حينما يتجمد تزداد كثافته ، فإن ازدادت هبط ، أي بعد حين البحار كلها تتجمد .

الدكتور بلال نور الدين :

لو كان يبقى ينكمش .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

نعم ، والأمطار تنعدم ، والنبات يموت ، والحيوان يموت ، والإنسان يموت ، تنتهي الحياة بإلغاء هذا القانون ، أما هذا الماء في الدرجة زائد أربع فيزداد حجمه ، تقل كثافته ، يطفو، تبقى سطوح البحار متجمدة ، وأعماقها دافئة ، لولا هذه الخاصة ما كان هناك حياة على وجه الأرض ، كأس الماء هذا الذي نشربه ، لا لون له ، لو كان له لون انتهى الماء ، لو كان له طعم انتهى الماء ، ما هذه الخاصة ؟ لا لون ، ولا طعم ، ولا رائحة ، يتبخر بدرجة زائد أربع ، لو كان يتبخر بدرجة مئة ، البيت دائماً فيه ماء ، لو نظفت البيت بالماء يبقى الماء إلى فصل الشتاء ، هذا التبخر بدرجة بسيطة جداً نعمة كبيرة ، النقطة الدقيق ، الله ما قال : وإن تعدوا نعم الله ، قال :

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18)

[سورة النحل]

نعمة الماء وحدها لو أمضيت كل العمر في فهم خصائصها لا تنتهي ، الآية فيها ملمح دقيق ، **(تَعُدُّوا نِعْمَةَ)** لو قال : نعم الله ، معقولة ، أما نعمة واحدة الماء ، نعمة مثلاً العين، العين ترى كل شيء فيها ، لماذا يوجد عينان ؟ هناك بعد ثالث ، لا يمكن لإنسان أن يضم إبرة بعين واحدة .

الدكتور بلال نور الدين :

لا يوجد العمق .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

يوجد عمق ، بالاثنتين صار هناك عمق ، يوجد بعد ثالث ، لو ذهبت تكشف خصائص الإنسان والله لا أبالغ لو أمضى الإنسان كل عمره ما انتهى ، هذا الشعر لا يوجد فيه أعصاب حس ، لو كان له أعصاب حس كل حلاقة تحتاج إلى عمليه جراحية ، تخدير كامل ، العين آية ، الشم آية ، الفم آية ، الأسنان آية ، الهضم ، شكل الإنسان ، قوام الإنسان ، أجهزته، والله لا أبالغ لو أمضينا العمر كله في اكتشاف خصائص الإنسان لا ننتهي ، هكذا بلا إله الحياة ؟

الدكتور بلال نور الدين :

معاذ الله ، حاشا .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35)

[سورة الطور]

الدكتور بلال نور الدين :

إذاً سيدي ؛ هذا مفهوم جميل جداً ، التعامل مع النعمة ينبع من تعظيم النعمة ، وفهم دقائق الأمر في التفكر فيها .

فننتقل الآن من النعمة إلى المنعم .

بطولة الإنسان أن يرى وراء كل نعمة منعم عظيم :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

أهل الغرب غرقوا في النعم ، يوجد رفاه بالغرب يفوق حدّ الخيال ، سافرت لأمريكا مرات عديدة هناك رفاه يفوق حدّ الخيال ، لكنهم ما عرفوا المنعم ، أهل الإيمان عرفوا النعمة وما عرفوا المنعم ، أنت حينما تأكل أنواعاً منوعة ، أمامك زوجة ، أمامك أولاد أطهار ، بيت تسكن فيه ، يوجد به تدفئة بالشتاء ، تكييف في الصيف ، عندك مركبة بسيطة ، عندك نعم غارق أنت فيها ، فكل بطولتك ، وكل ذكائك ، وكل نشاطك الإيماني أن تعيش هذه النعمة من المنعم ، أن ترى وراءها المنعم .

الدكتور بلال نور الدين :

جلّ جلاله ، سيدي ؛ النبي صلى الله عليه وسلم من تعامله من النعم ، كان يقول :

{ عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **إن الله ليرضى عن العبدِ أن يأكلَ الأكْلَة فيحمَدَه عليها ، ويشربَ الشَّربةَ فيحمدَه عليها** }

[أخرجه مسلم ، والترمذي]

فالحمد سيدي هو الحالة النفسية المبنية على فضل الله عز وجل .

من اكتشف نعم الله ازداد حباً له :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

أعرف شخصاً لا ينام ، التقيت معه ، يدفع كل ثروته لينام ليلة واحدة ، أما أنت فتضع رأسك على الوسادة وتنام ، لا أحد ينتبه لهذه النعمة ، النوم نعمة ، النسيان نعمة ، يوجد موقف صعب جداً مرّ نسيته ، لو لم تنسه تعيش بنكد كل حياتك ، كلما اكتشفت نعم الله تزداد حباً له ، الزوجة الصالحة نعمة كبيرة ، الشهوة أودعها فينا ، تنفذ عن طريق حلال ، وترقى به ، المؤمن قد يكون في لقاء زوجي ، يصلي قيام الليل ويبكي في الصلاة ، ما فعل شيئاً بخلاف المنهج ، لو إنسان حاور فتاة لا تحل له ، لا ينام الليل إذا كان عنده إيمان .

الدكتور بلال نور الدين :

فطرته سليمة .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

يوجد فرق .

الدكتور بلال نور الدين :

سيدي ؛ أيضاً من توجيهاته صلى الله عليه وسلم التعامل مع النعمة ، قال :

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال : **ما عَابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قطُّ ، إن اشْتَهَاهُ أكله ، وإن كَرِهه تركه** }

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي]

النبي الكريم جمع بين الواقعية والكمال في التعامل مع نعم الله :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

هو إنسان ، يوجد طعام طيب ، وطعام غير طيب ، لكنه ما عاب طعاماً قط ، انظر إلى الموقف الكامل ، جمع بين الواقعية والكمال ، لم يشتهِ لم يأكل ، عنده ذوق ، ذوق عال جداً، لكن ما عابه قط .

الدكتور بلال نور الدين :

نعم ، هذا توجيه سيدي للأدب مع النعم ، أحياناً سيدي للأسف الشديد بعض ديار المسلمين ، وهذا توجيه ونحن الآن على الفضائيات تجد في حاويات القمامة الخبز ، مثلاً كسرات الخبز ، أو أحياناً كميات الخبز والطعام ، أليست هذا وصمة عار أن يلقى الطعام في القمامة ؟

الأدب مع النعمة :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

والله في بلاد بعيدة حدثوني أحياناً تقام وليمة ، قطر المنسف عشرة أمتار أحياناً ، ولا يؤكل ، كله للقمامة ، لذلك أحياناً نمرة سيارة ثمنها حوالي خمسين مليوناً ، ما هذا الإنجاز الضخم ؟ ليس له معنى إطلاقاً ، فلذلك الإنسان حينما يعرف الله يضبط مقاييسه ، هناك مقاييس فُعلت معنا لابتزاز أموالنا ، لأنه راكب سيارة رقمها ثلاثة ، وإذا كان رقمها ثلاثة ، ليكن مليوناً .

الدكتور بلال نور الدين :

النمرة لا قيمة لها .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

ليس لها قيمة إطلاقاً ، أشياء شكلية ، كلها أشياء شكلية .

الدكتور بلال نور الدين :

إذاً سيدي الأدب مع النعمة ألا تمتهن ، النعمة عندما تمتهن وتلقى ، الله تعالى قال :

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7)

[سورة إبراهيم]

الدكتور محمد راتب النابلسي :

والله أعرف إنساناً ، أقسم لي بالله ما دخل بيته طعام إلا بأعلى درجة ، الفواكه بالصناديق ، الحلويات بالأواني الكبيرة ، قال لي : الآن أنقب بالقمامة ، حتى آكل خسة لم تؤكل، الله كبير ، إذا أعطى أدهش ، وإذا حاسب فتش .

الدكتور بلال نور الدين :

وبالشكر تدوم النعم ، أي نقيد النعمة بالشكر .

شكر الله على نعمه يكون بالامتنان الداخلي ثم بالتعبير اللساني :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

الآية لها معنى دقيق **(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)** الشكر يبدأ بالامتنان الداخلي من الله ، يا ربي لك الحمد آويتني بيت ، ولي زوجة وأولاد ، ومعي دخل يكفي ثمن طعامي ، وشرابي ، والمداواة ، إلى آخره ، هذا الشكر الامتنان الداخلي ، والتعبير باللسان : يا ربي لك الحمد ، غمرتني بفضلك ، برحمتك ، غمرتني بإكرامك لي مثلاً ، أما البطولة الكبيرة جداً فأن تقابل هذه النعمة بعمل صالح ، والدليل :

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً** وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13)

[سورة سبأ]

فلذلك الشكر الحقيقي ينقلب إلى عمل صالح .

الدكتور بلال نور الدين :

وزيادة **(لَأَزِيدَنَّكُمْ)** ، لا تدوم فقط لكنها تزيد .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

يوجد هكذا ، ويوجد هكذا ، بالشكر هكذا **(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)** ، أما الأولى فبالشكر تدوم النعم هكذا .

خاتمة وتوديع :

الدكتور بلال نور الدين :

وقابلها سيدي قابل الشكر بالكفر ، قال : **(وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) .**

جزاكم الله خيراً سيدي ، وأحسن إليكم .

أخوتي الأكارم ؛ في نهاية هذه الحلقة أشكر لكم حسن المتابعة كما أشكر لشيخنا حسن الأداء ، أسأل الله أن نلتقيكم دائماً على خير ، أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته